﴿وما تشاءون﴾ الطاعة ﴿إلا أن يشاء الله﴾ بقسرهم عليها ﴿إنّ الله كان عليمًا﴾ بأحوالهم وما يكون منهم. ﴿حكيمًا﴾ حيث خلقهم مع علمه بهم وقرئ*: تشاؤون بالتاء.

فإن قُلْتَ: ما محل أن يشاء الله[1]! **قُلْتُ:** النصب على الظرف وأصله إلا وقت مشيئة الله، وكذلك قراءة ابن مسعود: إلا ما يشاء الله، لأنّ ما مع الفعل كان معه.

يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾.

﴿يدخل من يشاء﴾ هم المؤمنون، ونصب ﴿والظالمين﴾ بفعل يفسره أعد لهم نحو: أو عدّ كافا، وما أشبه ذلك، وقرأ ابن مسعود: وللظالمين علي، وأعدّ للظالمين وقرأ ابن الزبير: والظالمون، على الابتداء وغيرها أولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها فيها مع مخالفتها للمصحف. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنةً وحريرًا»[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المرسلات مكية

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾.

أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة أرسلهنّ بأوامره.

فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾.

فعصفن في مضيهنّ كما تعصف الرياح تخففًا في امتثال أمره، وبطوائف منهم.

وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾.

نشرن أجنحتهنّ في الجو عند انحطاطهنّ بالوحي، أو نشرن الشرائع في الأرض، أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أو حين.

فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾.

ففرّقن بين الحق والباطل.

فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾.

فألقين ذكرًا إلى الأنبياء.

عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾.

﴿عذرًا﴾ للمحقين ﴿أو نذرًا﴾ للمبطلين، أو أقسم برياح عذاب أرسلهنّ فعصفن برياح رحمة نشرن السحاب في الجوف ففرّقن بينه كقوله: ﴿ويجعله كسفًا﴾[3] أو بسحائب نشرن الموات ففرّقن بين من يشكر لله تعالى وبين من يكفر كقوله: ﴿لأسقيناهم ماءً غدقًا لنفتنهم فيه﴾[4] فألقين ذكرًا إمّا عذرًا للدين يعتذرون إلى الله بتوبتهم واستغفارهم إذا رأوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها، وإما إنذارًا للذين يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك إلى الأنواء. وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببًا في حصوله إذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت.

فإن قُلْتَ: ما معنى عرفًا؟ **قُلْتُ:** متتابعة كشعر العرف، يقال: جاؤوا عرفًا واحدًا، وهم عليه كعرف الضبع إذا تألبوا عليه ويكون بمعنى العرف الذي هو نقيض النكر وانتصابه على أنه مفعول له أي: أرسلن للإحسان والمعروف، والأول على الحال. وقرئ*: عرفًا على التثقيل نحو نكر في نكر.

فإن قُلْتَ: قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون إرسالهم معروفًا! **قُلْتُ:** إن لم يكن معروفًا للكفار فإنه معروف للأنبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم.

فإن قُلْتَ: ما العذر والنذر وبما انتصب؟ **قُلْتُ:** هما مصدر أن من عذر إذا محا الإساءة، ومن أنذر إذا خوّف على فعل كالكفر والشكر، ويجوز أن يكون جمع عذير بمعنى المعذرة، وجمع نذير بمعنى الإنذار أو بمعنى العاذر والمنذر وأما انتصابهما فعلى البدل من نكرًا على الوجهين الأوّلين، أو على المفعول له، وأما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين أو منذرين. وقرئا مخففين ومثقلين.

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾.

أنّ الذي توعدون من مجيء يوم القيامة لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم. وعن بعضهم أنّ المعنى:

---

(1) قال أحمد: وهذا من تحريفاته للنصوص وتسوّره على خزائن الكتاب العزيز، كدأب الشطار واللصوص فلنقطع يد حجته التي أعدّها، وذلك حكم هذه السرقة وحدّها فنقول: الله تعالى نفى وأثبت على سبيل الحصر الذي لا حصر ولا نصر أوضح منه، ألا ترى أن كلمة التوحيد اقتصر بها على النفي والإثبات؛ لأنّ هذا النظم أعلق شيء بالحصر وأنله عليه، فنفى الله تعالى أن يفعل العبد شيئاً له في اختيار ومشيئة، إلا أن يكون الله تعالى قد شاء ذلك الفعل، فمقتضاه ما لم يشأ الله وقوعه من العبد لا يقع من العبد، وما شاء منه وقوعه وقع وهو رديف: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وانظر إدخاله القسر في تعطيل الآية لا تاويلها كيف ناقض به، فإنّ معنى الآية عنده: أنّ مشيئة العبد الفعل = لا تكون إلا إذا قسره الله عليها، والقسر مناف للمشيئة، فصار الحاصل أنّ مشيئة العبد لا توجد إلا إذا انتفت، فإذاً لا مشيئة للعبد البتة، والاختيار وما هو إلا فرّ من إثبات قدرة العبد غير مؤثرة، ومشيئة غير خالقة ليتمّ له إثبات قدرة ومشيئة مؤثرين، فوقع في سلب القدرة والمشيئة أصلاً وراساً، وحيث لزم الحيد عن الاعتزال، انحرف بالكلية إلى الطرف الاقصى متحيزاً إلى الجبر، فيا بعدما توجه بسوء نظره، والله الموفق.

(2) ذكره الثعلبي وابن مردويه والواحدي في تفسيره 4/136.

(3) سورة الروم، الآية: 48.

(4) سورة الجن، الآية: 16.

ورب المرسلات.

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨﴾.

﴿طمست﴾ محيت ومحقت، وقيل: ذهب بنورها ومحق نوانها موافق لقوله: انتثرت وانكدرت ويجوز أن يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩﴾.

﴿فرجت﴾ فتحت فكانت أبوابًا. قال الفارجي: باب الأمير المبهم.

﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠﴾.

﴿نسفت﴾ كالحب إذا نسف بالمنسف ونحوه، وبست الجبال بسًا وكانت الجبال كثيبًا مهيلاً، وقيل: أخذت بسرعة من أماكنها من انتسفت الشيء إذا اختطفته. وقرئت: طمست وفرجت ونسفت مشدّدة.

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۝١١﴾.

قرئ: أقتت ووقت بالتشديد والتخفيف فيهما والأصل الواو ومعنى توقيت الرسل تبين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم. والتأجيل من الأجل كالتوقيت من الوقت

﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢﴾.

﴿لأي يوم لجلت﴾ تعظيم لليوم وتعجيب من هوله.

﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤﴾.

﴿ليوم الفصل﴾ بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق، والوجه أن يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيامة وأجلت أخرت.

فإن قُلْتَ: كيف وقع النكرة مبتدأ في قوله: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾؟ **قُلْتُ:** هو في أصله مصدر منصوب سادّ مسدّ فعله ولكنه أعدل به إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه. ونحوه: سلام عليكم، ويجوز ويلاً بالنصب ولكنه لم يقرأ به يقال: ويلاً له ويلاً كيلاً.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٥ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٦﴾.

قرأ قتادة نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى أهلكه. قال العجاج ومهمه هالك من تعرجا.

﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝١٧﴾.

﴿ثم نتبعهم﴾ بالرفع على الاستئناف وهو وعيد لأهل مكة، يريد ثم نفعل بأمثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالأولين ونسلك بهم سبيلهم لأنهم كذبوا مثل تكذيبهم. ويقويها قراءة ابن مسعود: ثم سنتبعهم. وقرئ: بالجزم للعطف على نهلك، ومعناه أنه أهلك الأولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم أتبعهم الآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى.

﴿كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٩ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٢٠ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ۝٢١﴾.

﴿كذلك﴾ مثل ذلك الفعل الشنيع ﴿نفعل﴾ بكل من أجرم إنذارًا وتحذيرًا من عاقبة الجرم وسوء أثره.

﴿إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ۝٢٢﴾.

﴿إلى قدر معلوم﴾ إلى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة الأشهر أو ما دونها أو ما فوقها.

﴿فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ۝٢٣ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٢٤ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ۝٢٥﴾.

﴿فقدرنا﴾ فقدّرنا ذلك تقديرًا ﴿فنعم القادرون﴾ فنعم المقدّرون له نحن، أو فقدّرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن. والأوّل أولى لقراءة من قرأ فقدرنا بالتشديد. ولقوله: ﴿من نطفة خلقه فقدره﴾[1] الكفات من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت. كقولهم: الضمام والجماع لما يضم ويجمع، يقال هذا الباب جماع الأبواب وبه انتصب.

﴿أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ۝٢٦﴾.

﴿أحياءً وأمواتًا﴾ كأنه قيل: كافتة أحياءً وأمواتًا، أو بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت، والمعنى: تكفت أحياءً على ظهرها وأمواتًا في بطنها، وقد استدل بعض أصحاب الشافعي رحمه الله على قطع النباش بأنّ الله تعالى جعل الأرض كفاتًا للأموات فكان بطنها حرزًا لهم فالنباش سارق من الحرز.

فإن قُلْتَ: لم قيل أحياءً وأمواتًا على التنكير وهي كفات الأحياء والأموات جميعًا؟ **قُلْتُ:** هو من تنكير التفخيم. كأنه قيل: تكفت أحياءً لا يعدون وأمواتًا لا يحصرون على أن أحياء الإنس وأمواتهم ليسوا بجميع الأحياء والأموات، ويجوز أن يكون المعنى: تكفتكم أحياءً وأمواتاً فينتصبا على الحال من الضمير لأنه قد علم أنها كفات الإنس.

﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ۝٢٧ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٢٨﴾.

فإن قُلْتَ: فالتنكير في ﴿رواسي شامخات﴾ و﴿ماء فراتًا﴾! **قُلْتُ:** ليحتمل إفادة التبعيض لأنّ في السماء جبالاً. قال الله تعالى: ﴿وننزل من السماء من جبال فيها من برد﴾[2] وفيها ماء فرات أيضًا، بل هي معدنه ومصبه. وأن يكون للتفخيم أي: يقال لهم:

(1) سورة عبس، الآية: 19.

(2) سورة النور، الآية: 43.

obeikandi.com

ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾.

انطلقوا إلى ما كنتم به من العذاب وانطلقوا الثاني تكرير، وقرئ*: انطلقوا على لفظ الماضي أخبارًا بعد الأمر عن عملهم بموجبه لأنهم مضطرون إليه لا يستطيعون امتناعًا منه.

ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾.

﴿إلى ظل﴾ يعني دخان جهنم. كقوله: ﴿وظل من يحموم﴾[1] ﴿ذي ثلاث شعب﴾ بتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق نوائب. وقيل: يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسراد ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم، والمؤمنون في ظل العرش.

لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾.

﴿لا ظليل﴾ تهكم بهم وتعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين. ﴿ولا يغني﴾ في محل الجر أي وغير مغنٍ عنهم من حر اللهب شيئًا.

إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾.

﴿بشرر﴾ وقرئ* بشرار ﴿كالقصر﴾ أي: كل شررة كالقصر من القصور في عظمها. وقيل: هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر، وقرئ*: كالقصر بفتحتين وهي أعناق الإبل أو أعناق النخل نحو شجرة وشجر. وقرأ ابن مسعود: كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن، وقرأ سعيد بن جبير: كالقصر في جمع قصرة كحاجة وحوج.

كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾.

﴿جمالات﴾ جمع جمال أو جمالة جمع جمل شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه، ألا نراهم يشبهون الإبل بالأفدان والمجادل. وقرئ*: جمالات بالضم وهي قلوس الجسور. وقيل: قلوس سفن البحر الواحدة جمالة. وقرئ*: جمالة بالكسر بمعنى جمال، وجمالة بالضم وهي القلس وقيل: ﴿صفر﴾ لإرادة الجنس. وقيل: صفر سود تضرب إلى الصفرة، وفي شعر عمران بن حطان الخارجي:

دعتهم بأعلى صوتها ورمتهم بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

وقال أبو العلاء:

حمراء ساطعة النوائب في الدجى ترمي بكل شرارة كطراف

فشبهها بالطراف وهو بيت الأدم في العظم والحمرة، وكأنه قصد بخبثه أن يزيد على تشبيه القرآن ولتبجحه بما سوّل له من توهم الريادة جاء في صدر بيته بقوله: حمراء، توطئةً لها ومناداةً عليها وتنبيهًا للسامعين على مكانها ولقد عمى جمع الله له عمى الدارين عن قوله عز وعلا: ﴿كأنه جمالات صفر﴾ فإنه بمنزلة قوله: كبيت أحمر، وعلى أن في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيهًا من جهتين: من جهة العظم، ومن جهة الطول في الهواء، وفي التشبيه بالجمالات وهي القلوس تشبيه من ثلاث جهات: من جهة العظم والطول والصفرة. فأبعد الله أغرابه في طرافه وما نفخ شدقيه من استطرافه.

هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾.

قرئ* بنصب اليوم، ونصبه الأعمش. أي: هذا الذي قص عليكم واقع يومئذٍ ويوم القيامة طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت. ولذلك ورد الأمران في القرآن، أو جعل نطقهم كلا نطق لأنه لا ينفع ولا يسمع.

وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾.

﴿فيعتذرون﴾ عطف على يؤذن منخرط في سلك النفي، والمعنى: ولا يكون لهم إذن واعتذار متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسببًا عن الإذن، ولو نصب لكان مسببًا عنه لا محالة.

هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾.

﴿جمعناكم والأولين﴾ كلام موضح لقوله: هذا يوم الفصل لأنه إذا كان يوم الفصل بين السعداء والأشقياء وبين الأنبياء وأممهم فلا بدّ من جمع الأولين والآخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم.

فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٤٢﴾.

﴿فإن كان لكم كيد فكيدون﴾ تقريع لهم على كيدهم لدين الله ونويه وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة.

كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾.

﴿كلوا واشربوا﴾ في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال. أي: هم مستقرون في ظلال مقولاً لهم ذلك.

كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾.

﴿كلوا وتمتعوا﴾ حال من المكذبين أي: الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم: كلوا وتمتعوا.

فإن قُلْتَ: كيف يصح أن يقال لهم ذلك في الآخرة؟ **قُلْتُ:** يقال لهم ذلك في الآخرة إيذانًا بأنهم كانوا في الدنيا أحقاء بأن يقال لهم وكانوا من أهله، تذكيرًا بحالهم السمجة وبما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع القليل على النعيم والملك

(1) سورة الواقعة، الآية: 43.

الخالد. وفي طريقته قوله:

إخوتي لا تبعدوا أبدًا ... وبلى والله قد بعدوا

يريد كنتم أحقاء في حياتكم بأن يدعى لكم بذلك، وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على أن كل مجرم ما له إلا الأكل والتمتع أيامًا قلائل ثم البقاء في الهلاك أبدًا، ويجوز أن يكون: كلوا وتمتعوا كلامًا مستأنفًا خطابًا للمكذبين في الدنيا.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾.

﴿اركعوا﴾ اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة، لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم، وقيل: ما كان على العرب أشد من الركوع والسجود. وقيل: نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله ﷺ بالصلاة فقالوا: لا نجبي فإنها سبة علينا، فقال رسول الله ﷺ: «لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود»[1].

فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾.

﴿بعده﴾ بعد القرآن، يعني: أنّ القرآن من بين الكتب المنزلة آية مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فبأي كتاب بعده ﴿يؤمنون﴾. وقرئ: تؤمنون بالتاء. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين»[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة عم يتساءلون مكية

وتسمى سورة النبا

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾.

﴿عم﴾ أصله عما على أنه حرف جر دخل على ما الاستفهامية، وهو في قراءة عكرمة وعيسى بن عمر. قال حسان رضي الله عنه:

على ما قام يشتمني لئيم ... كخنزير تمرغ في رماد

والاستعمال الكثير على الحذف والأصل قليل، ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنه قال: عن أي شأن يتساءلون. ونحوه ما في قولك: زيد ما زيد[3]. جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول: ما الغول وما العنقاء؟ تريد: أي شيء هو من الأشياء، هذا أصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا تخفى عليه خافية[4]. ﴿يتساءلون﴾ يسأل بعضهم بعضًا، أو يتساءلون غيرهم من رسول الله ﷺ والمؤمنين نحو يتداعونهم ويتراءونهم، والضمير لأهل مكة. كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء.

عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾.

﴿عن النبا العظيم﴾ بيان للشأن المفخم. وعن ابن كثير أنه قرأ عمه بهاء السكت، ولا يخلو إما أن يجري الوصل مجرى الوقف وإما أن يقف ويبتدئ: يتساءلون عن النبأ العظيم، على أن يضمر يتساءلون لأنّ ما بعده يفسره كشيء يبهم ثم يفسر.

ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾.

فإن قُلْتَ: قد زعمت أنّ الضمير في يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله: ﴿هم فيه مختلفون﴾! **قُلْتُ:** كان فيهم من يقطع القول بإنكار البعث ومنهم من يشك. وقيل: الضمير للمسلمين والكافرين جميعًا، وكانوا جميعًا يسألون عنه. أما المسلم فليزداد خشيةً واستعدادًا، وأما الكافر فليزداد استهزاءً، وقيل: المتساءل عنه القرآن، وقيل: نبوّة محمد ﷺ وقرئ: يتساءلون بالإدغام، وستعلمون بالتاء.

كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾.

﴿كلا﴾ ردع للمتسائلين، هزؤًا، و﴿سيعلمون﴾ وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون أنّ ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لأنه واقع لا ريب فيه، وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك.

ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾.

ومعنى: ﴿ثم﴾ الأشعار بأنّ الوعيد الثاني أبلغ من الأوّل وأشد.

أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾.

فإن قُلْتَ: كيف اتصل به قوله: ﴿ألم نجعل الأرض مهادًا﴾[5]! **قُلْتُ:** لما أنكروا البعث قيل لهم: ألم يخلق من

---

(1) أخرجه أبو داود في كتاب: الخراج والإمارة والفيء، باب: ما جاء في خبر الطائف (الحديث رقم: 3026) وأخرجه أحمد في المسند: 218/4، وابن أبي شيبة 197/3، كتاب: الزكاة، باب: ليس على المسلمين عشور.

(2) ذكره الثعلبي، وابن مردويه، والواحدي في تفاسيرهم 140/4.

(3) قال أحمد: وقد أكثرت أم زرع من هذا التفخيم في قولها: وأبو زرع ما أبو زرع، إلى آخر حديثها.

(4) قال أحمد: لأنّ بعضهم يشك في البعث وبعضهم يبت النفي ومن ثم قيل: الضمير للمسلمين والكافرين، فسؤال المسلمين ليزدادوا خشية، وإنما سؤال الكفار لزيادة الاستهزاء والكفر.

(5) قال أحمد: جوابه الأوّل سديد، وأما الثاني فغير مستقيم، فإنه مفرع على المذهب الأعوج في وجوب مراعاة الصلاح والأصلح، واعتقاد أن الجزاء واجب على الله تعالى عقلاً ثواباً وعقاباً بمقتضى إيجاب الحكمة، وقد فرغ من إبطال هذه القاعدة.